اسم المصدر: الحياة

التاريخ: 24-11-2008 رقم العدد: 16670 رقم الصفحة: 9 مسلسل: 67 رقم القصاصة: 1

اليمين الإسرائيلي والرئيس الجديد: نتانياهو في وجه أوباما!

عرفان نظام الدين *

■ التفاؤل الذي يسود العالم العربي بعد فوز باراك أوباما بالرئاسة الأميركية يقابله ضرب شديد يصل الى حدود التشاؤم لدى كثير من المتابعين لسير أحداث الصراع العربي - الإسرائيلي وحجم المؤامرات الصهيونية المتواصلة فصولاً والمناورات المتجددة التي يمارسها قادة إسرائيل منذ عام ١٩٤٨ حتى يومنا هذا لتنفيذ مخططات الاحتلال والتهويد وفرض سياسة الأمر الواقع والتهرب من استحقاقات السلام.

فالرئيس المنتخب يملك بلا شك الرؤية الحكيمة التي تفرض عليه التحرك بسرعة لإطلاق مبادرته الخاصة للسلام في الشرق الأوسط كأولوية ضرورية من أولويات السياسة الأميركية التي من خلالها تتم حلحلة الأولويات الأخرى وتسهيل إيجاد الحلول الأخرى، كما يملك أوباما، على ما يبدو، من خلال دراسة شخصيته وتحليل خطاباته ومواقفه، الإرادة والعزيمة للمضي في هذا الاتجاه، خصوصاً أن بعض مستشاريه أكدوا أنه سيدعم بقوة المبادرة العربية للسلام وأنه أبلغ الرئيس الفلسطيني محمود عباس أنه سيكون ضرباً من الجنون أن ترفض إسرائيل مثل هذه المبادرة التي ستوفر لها السلام مع العالم الإسلامي من أندونيسيا الى المغرب، كما نقلت «الحياة» أخيراً عن صحيفة «صنداي تايمز» البريطانية، التي أشارت الى أن كبار مستشاريه حضّوه على أن يعطي أولوية لهذه المبادرة فور تسلمه السلطة وحلوله في البيت الأبيض في ٢٠ كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٩.

وعلى رغم تجنب أوباما الإفصاح عن كل مكنونات سياساته في المنطقة ومواقفه من ملفاتها، فإن كل الدلائل تشير الى مدى اهتمامه بإيلاء ملف الشرق الأوسط الأولوية المطلقة في تحركاته، خصوصاً أن ما تسرب عن اتصاله بخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز خلال زيارته لنيويورك وواشنطن يوحي بالتفاؤل ويؤكد حسن نيات الرئيس المنتخب ورغبته في صوغ مبادرة سلام خاصة به مستوحاة من مبادرة السلام العربية التي أطلقها الملك عبدالله وأقرتها القمة العربية في بيروت بالإجماع، إضافة الى مضامين المبادرات الأميركية الأخرى من دريد الى خريطة الطريق مع اعتماد قرارات الشرعية الدولية ومبدأ الأرض مقابل السلام.

هذا من حيث المبدأ أو بالأحرى من منطلقات النيات الحسنة، ولكن ماذا عن الواقع؟ وهل سيسمح لأوباما بأن يغرد خارج السرب الصهيوني أو «القفص» الذي سجن فيه معظم رؤساء الولايات المتحدة لمنعهم من المضي قدماً في مبادراتهم ومواقفهم المتقدمة والراغبة في إيجاد حل عادل لأزمة الشرق الأوسط؟

للتذكير فقط نشير الى مبادرات روجرز (في عهد الرئيس نيكسون) وما جرى له ولها، وكيسينجر التي انتهت بتكبيل العرب في حدود اتفاقات وقف إطلاق النار، ومبادرة الرئيس ريغان التي دفنت في مهدها ثم مبادرة الرئيس جورج بوش الأب (مدريد) التي عُلقت عليها الآمال الجسام بعد عقد مؤتمر السلام والاتفاق على خطوات عملية وتشكيل لجان متعددة للتطبيع والحل وصولاً الى مبادرة الرئيس جورج بوش التي نصت على قيام دولتين فلسطينية وإسرائيلية، ثم قزمت عبر خريطة طريق واجتماعات اللجنة الرباعية العقيمة.

من الناحية العملية بدأت التحركات المريبة لمحاصرة الرئيس المنتخب وتفخيخ إرادته برموز صهيونية معروفة وشخصيات موالية لإسرائيل تائمر بأمر اللوبي الصهيوني، على رغم ما يقال عن تباين بين تيارين داخله، تيار يدعو للاعتدال وإيجاد حل معقول، وآخر متطرف يعمل على دعم إسرائيل ويمنع الإدارة الأميركية من ممارسة أي ضغط عليها وإبراز المبررات والأسباب التي تحتم انحياز الولايات المتحدة الى الجانب الإسرائيلي والترويج لمزاعم الإرهاب والمصالح والأمن القومي.

والمؤسف أن تاريخ الرئاسة الأميركية لا يوحي بالخير ولا بالنجاح في تحقيق هدف السلام الذي يرغب به العرب في شبه إجماع لم يتوافر من قبل، كما أن التجارب علمتنا أن كل المبادرات ذهبت سدى، إما لأنها كانت مجرد حركة استعراضية لإرضاء العرب أو عملية ذر الرماد في العيون وتجميل الموقف الأميركي والتخفيف من ضغوط عربية قادتها المملكة العربية السعودية وغيرها من الدول مع معظم الرؤساء، أو لأن اللوبي الصهيوني تمكن من «تطويع» هؤلاء الرؤساء وترهيبهم ومحاصرتهم بمساعدين منحازين لإسرائيل إن لم يكونوا مؤتمرين بأمرها.

لهذا لا بد من تكرار القول إن أي سلام في المنطقة لا يأتي من الخارج، ولا يهدى إلينا من رئيس راحل أو رئيس قادم، بل يفرض من جانب العرب عندما يوحدون صفوفهم ويتخذون موقفاً حاسماً وحازماً واستراتيجية واضحة لا لبس فيها ولا ثقوب تضع رئيس الولايات المتحدة والعالم كله أمام مسؤولياته من أجل حماية المصالح وكسب ود الشعوب العربية ووضع حد للاختلال بالأمن والاستقرار.

والعرب يملكون اليوم أوراق قوة لا شك فيها سيحصدون منها الخير العميم لو أحسنوا استخدامها وأكدوا للجميع وجوب التعامل معهما باحترام وجدية من أجل السلام العالمي والدفاع عن مصالح العالم، قبل المصالح العربية، وعن أمن العالم قبل أمن العرب، وسلامه قبل سلامهم، وأي تهاون في استخدام هذه الأوراق سيضيع فرصة تاريخية أخرى، وأي تأخير في توحيد الصف العربي سيعني حتماً استخفاف العالم بالعرب والتعامل معهم على أنهم مجرد «ظاهرة صوتية» لا حول لها ولا قوة.

والتحرك المطلوب لا بد أن يتم من الآن وحتى ٢٠ كانون الثاني، موعد استلام أوباما مقاليد الحكم في واشنطن. والأمل كل الأمل أن يدرك القادة العرب هذه الحقائق ويفهموها

اسم المصدر: الحياة

التاريخ: 24-11-2008 رقم العدد: 16670 رقم الصفحة: 9 مسلسل: 67 رقم القصاصة: 2

أبعادها وحجمها ومعانيها لكي يسارعوا الى تحقيق الأهداف المرجوة وتلبية الآمال المعلقة عليهم، وربما تكون قمة الكويت الاقتصادية العربية المقررة الشهر المقبل ساحة لتدارك أخطاء الماضي وفرصة لرأب الصدع وحل الخلافات ورسم معالم استراتيجية تواجه العالم وتستقبل الرئيس الأميركي العتيد.

هذا من جهة العرب، ولكن ماذا عن الجانب الأميركي، وعن أوباما ونياته وسياساته وفريق عمله وأولوياته؟

من الواضح أن الرئيس المنتخب سيجد نفسه أمام «عش دبابير» ورزمة أزمات متفجرة عندما يدخل البيت الأبيض ويتربع على عرش المكتب البيضاوي فيه. ولا شك أيضاً أن الدسائس ستطاوله منذ يومه الأول لإيقاعه في فخاخ وشلّ يديه عن الحركة وافتعال الأزمات لتوجيه الدفة باتجاه آخر معاكس لتيار الدعوة لإعطاء الأولوية القصوى لأزمة الشرق الأوسط.

فالرئيس أوباما سيمضي الشهور الأولى في هموم تكوين إدارته واختيار مساعديه في شكل دقيق لئلا يقع في أخطاء أسلافه الذين تسرعوا في بعض التعيينات فدفعوا الثمن غالباً إما بإضاعة الوقت في صراع الديوك والتباين في المواقف أو في الوقوع في دوامة الفضائح.

هذه الأولوية الإدارية والسياسية ترسم ملامح صورة العهد الجديد للسنوات الأربع المقبلة وربما لولاية رئاسية ثانية إذا نجح أوباما في إدارة الدفة مدعوماً بأكثرية مضمونة ومريحة في مجلسي النواب والشيوخ في الكونغرس، لكنها أولوية مرحلية ومحكومة بوقت قصير من عمر الرئاسة تقابلها أولويات سياسية رئيسية ومصيرية تفوق في أهميتها أزمة الشرق الأوسط، بحسب التقويم الأميركي وهي:

- قضية الانسحاب من العراق في شكل مشرّف وآمن، بحسب وعود أوباما في حملته الانتخابية. وهذه أولوية مقلقة وضرورية للخروج من المأزق الراهن، أو من المستنقع وحقول الألغام التي أوقع الرئيس بوش بلاده فيها ليواجه تزايد مخاطر الإرهاب، وخطر التمدد الإيراني وآلام النزيف البشري والمالي والسياسي والمعنوي الذي استنزف طاقات الولايات المتحدة وسمعتها.

- قضية مواجهة الإرهاب، مع «القاعدة» وغيرها. ونيران حرب أفغانستان ونتائجها المدمرة وتباين المواقف حول وجوب الحسم العسكري السريع وضرورات الحوار مع حركة «طالبان» من أجل إحلال السلام وتأمين متطلبات الانسحاب المشرّف لقوات حلف شمال الأطلسي من هذا البلد المثير للمتاعب.

- قضية معالجة الأزمة المالية العالمية وما نجم عنها من خسائر وآلام ونتائج مدمرة على الاقتصاد الأميركي في مختلف قطاعاته ومؤسساته الرسمية والخاصة ثم على الشعب الأميركي الذي يعاني البطالة والفقر والهموم الحياتية اليومية.

- قضية الملف النووي الإيراني واحتمالات تفجره خلال الأشهر القليلة المقبلة، مما يضع أوباما أمام خيارات صعبة لا بد من أن يحسم أمرها إما بفتح قنوات الحوار لجس النبض حول الحلول الممكنة أو بالاضطرار للجوء الى الخيار العسكري في حال تمكنت إسرائيل من جره الى هذا الفخ.

وتبقى قضية الشرق الأوسط ومبادرات السلام معلقة أمام الأولويات الأخرى، خصوصاً أن إسرائيل استبقت المتغيرات الأميركية الكبرى باللجوء الى اللعبة المفضوحة التي مارستها منذ أكثر من نصف قرن، وهي الدعوة الى انتخابات عامة مبكرة تضرب بها عصافير عدة بحجر واحد. إذ انها سترغم واشنطن على التخلي عن أي تحرك بانتظار ما ستسفر عنه هذه الانتخابات وتكسب المزيد من الوقت لتمييع المواقف وإبعاد الرئيس الجديد عن المنطقة وهمومها والمضي في فرض الأمر الواقع، خصوصاً أن الفلسطينيين ابتلوا بقيادات قصيرة النظر أعمتها مصالحها عن رؤية الخطر الصهيوني وحجم التهديد الإسرائيلي لمصير هذا الشعب الصابر وهويته وحقوقه وأراضيه ومقدساته.

والأخطر من كل ذلك أن الدلائل تشير الى احتمال فوز حزب «الليكود» المتطرف بقيادة بنيامين نتانياهو صاحب السجل الأسود والمواقف الاستفزازية المتعصبة مع أحزاب اليمين المتطرف ليقود الحكم بتحدي العرب والعالم... والرئيس الأميركي الجديد.

وقد تفتّق عقل الصهاينة عن هذه المعادلة الصعبة بعد التأكد من زوال عهد الجمهوريين فدعموا مرشح الحزب الديموقراطي (٧٤ في المئة من اليهود أيدوا أوباما بحسب الإحصاءات) من جهة ودسوا في فريقه ومساعديه عشرات الموالين لإسرائيل والمتعاطفين معها ثم عمدوا الى تحريك لعبة الانتخابات المبكرة الإسرائيلية، ثم الزعم بأن الشعب الإسرائيلي اختار ممثليه في عملية ديموقراطية حرة لا يملك الرئيس سوى التعامل معها واحترام نتائجها والامتثال لرغباتها المجنونة وسياساتها الرافضة للسلام، أي سلام في المطلق.

إنها معادلة نتانياهو في وجه أوباما، أو التطرف في وجه الاعتدال، وبالتالي إنهاء الرئيس الأميركي في جدل بيزنطي وتمييع إمكانات التحرك الجدي وإضاعة السنوات الأولى من عهده تمهيداً لممارسة مزيد من الضغوط مع اقتراب استحقاق التمهيد لتمديد الرئاسة لولاية ثانية.

هذا المكر يتطلب ما يقابله من العرب لحمل الرئيس أوباما على مواجهة الضغوط بضغوط يفرضها على إسرائيل مهما كانت نتائج الانتخابات الإسرائيلية المقررة في شباط (فبراير) المقبل، أي بعد أسابيع قليلة من تسلمه مقاليد الحكم. فهل ينجح العرب في تحقيق هذا الهدف أم أن المعادلة المسمومة ستضيف إليهم خيبة أمل جديدة من خيبات الأمل من رؤساء سابقين ووعود ذهبت سدى؟!

---

* كاتب عربي